

قصة

عضو بعثة

للمركز اراهيم أنيس

وجد خليل ، نفسه وحيداً في فندقه الصغير وقد بدأ اليأس يتسرب إلى نفسه لأنه قضى شهراً كاملاً يبحث عن أسرة يسكن معها .

حين كان خليل ، يعد نفسه للرحيل إلى إنجلترا لم يترك أحداً من أصدقائه أو معارفه من كانوا هناك إلا سألوه عن خير نصيحة يمكن أن يقدموها إليه . وقد أجمع الكل على أنه من الخير لكل مصري يرحل إلى إنجلترا أن يقيم مع أسرة والسكنهم اختلفوا في أسباب نصيحتهم هذه . فمنهم من قال إن خير وسيلة لاقتان اللغة الانجليزية هي السكنى مع أسرة . وآخر بدأ يحدث ، قليلاً ، عن أن المرء في غربته بحاجة إلى الحنان والعطف من حوله ولن يجد هذا إلا في الأسرة . . وثالث أكد لخليل أن الأسرة تعين على الاتصال والاختلاط ومقاولة الفتيات الحسان .

وقد دهش خليل ، لأنه رآهم جميعاً ينصحون بأمر واحد ويختلفون في علة هذه النصيحة .

ولستأ ندرى أى هذه الأسباب صادف دوى في نفس خليل ، واسكننا نعلم أنه منذ وصوله أخذ يجد البحث عن أسرة . ثم أعياء السؤال عما ينشده وكاد يئس لولا أن رأى بريقاً من الأمل فيما أخبرته خادم الفندق حين أسر اليها برغبته هذه فقد نصحته بنشر إعلان في أحد الصحف المحلية . ثم نشر الاعلان وكانت صيغته

« طالب مصري يعمل في حقول التجارب الزراعية في أسلاو ، يبحث عن أسرة كريمة يعيش معها على أن يكون الضيف الوحيد ،
و « أسلاو » هذه بلدة صغيرة قرب لندن فيه حقول التجارب الزراعية ،
للجامعة لندن العظيمة . وقد أرسل خليل ، هناك لأنه كان عضو بعثة وزارة الزراعة المصرية .

وتوقع « خليل » في اليوم التالي لنشر إعلانه أن تنهال عليه الرسائل رداً على هذا الاعلان . ولكن خاب ظنه حين جاءت له رسالة واحدة في بريد الظهر من مسز « جراهام » .

مسز « جراهام » سيدة مسنة تعيش مع زوجها أحد أصحاب الأعمال في « أسلاو » منذ أربعين عاماً ، وقد رزقت في كل حياتها الزوجية الطويلة ابناً واحداً شامت الاقدار أن يدخل عنها إلى بلاد الهند ليعمل في إحدى الشركات الكبرى هناك . حزنت مسز « جراهام » على فراق ولدها الوحيد حزناً عميقاً ولكنها كعظم أمهات الانجليز لم تشأ أن تقف في سبيل مستقبله فتركته يرحل على مضض . فما ليكون حياته كما يرغب . وقد لبثت تكتب لولدها في كل اسبوع رسالة تحثه فيها عما يدور في محيطها الضيق ، تجعل رسائلها آخر الامر تكرر أخباراً متشابهة . وأحسن ولدها بنغمة الوحشة التي كانت تحيط بأمه فكتب إليها يرجوها ويبلغ في الرجاء أن تبحث كما هي عادة كثير من الانجليزيات ذوات اليسار - عن سيدة تعيش معها لا كخادم بل كعضو في الأسرة . تأكل معهم وتجلس معهم وتشاركهم في القيام بشئون الدار . وأخيراً أذعنت مسز « جراهام » لنصح ولدها ونشرت إعلاناً أيضاً في الصحيفة المحلية في نفس اليوم الذي نشر فيه « خليل » ، وشاء حسن حظه أن ينشر إعلانه بجوار إعلانها .

وفي المساء جلست مسز « جراهام » بجوار المدفأة ويدها الصحيفة تقرأ إعلانها فلفت نظرها إعلان « خليل » ، فقرأتها أيضاً .
وهنا مرت لحظات غابت فيها عن صوابها وأخذت تفكر في حال ولدها ببلاد

الهند . وصور لها خيالها ككل الاممات صوراً مظالة عن حياته هناك ونخيلت أنه ربما لا يجد أيضاً أسرة يسكن معها ويضمن اليها ذرفت عبرات حاره وفجأة قامت تكتب لخليل وتطلب اليه أن يزورها في وقت حددته له لا لأنها صمتت على أن تسكنه معها ولكن دفعها حب الاستطلاع أن تسمع منه قصته وما كان من شأنه . ثم رأت مسر د جراهام ، نفسها في اليوم التالي لأول مرة في حياتها أمام شاب أجنبي يتحدث اليها بلغة مفهومة وان تخللها كثير من الاخطاء ورقت هذه السيدة الكريمة لحال د خليل ، ووعده بعد حديث طويل بالتفكير في الامر وفي مساء ذلك اليوم دار حوار طويل بين مسر د جراهام ، وزوجها هو يحاورها عن طريق العقل وهي تجادله عن طريق القلب وأخيراً قرأ الزوجين على مكثي د خليل ، معهما .

عاش د خليل ، مع هذه الاسرة ثلاث سنوات وكان كلما مر به الزمن معهم ازدادوا حبا له وشغفا به وزاد هو أيضاً حبا لهم وشغفا بهم ، ورأى د خليل ، في مسر د جراهام ، حنان أمه وعطفها ، ورأت هي أيضاً فيه شباب ولدها وقوته . وكما جلس د خليل ، يتحدثها هي وزوجها عن مصر وصفاء سمائها واشراق شمسها وعذوبة ماء نيلها وعما فيها من رخاء وعن عادات قومها واثارها . مما جعلها تنمى لو عاشت ما بقى لها من العمر في بلاد د خليل ،

وهي أيضاً جعلت من نفسها معلية له تصلح من اخطائه اللغوية وتحدثه عن عادات الانجليز وتاريخهم فجعلته بعد زمن قليل يحس كأنما كانت انجلترا وطناً ثانياً له .

ودعش مسر د جراهام ، حين رأى زوجته التي تعودت أن تقضى معظم الايام في فراشها يعود اليها نشاطها ولا ترى الا باسمة فكانما قد أعادت حياة د خليل ، معهما ما فقدته لغراق ولدها من صحة وقوة . وقد كانت تأتي الا أن ترتب لخليل سرير يد يديها وأن تدقته بقربتين صغيرتين من الماء الساخن .

وتعود أهالي د أسلاو ، أن يروا ذلك الشاب الاسمر الطويل القائمة المجمد الشعر

ذا الاستان اللامعه الذى أشرب وجهه بحمرة تم عن صحة وعافية وهو يمر بهم في طرقات المدينة مثالا للرجولة والفتوة فكان دائما موضع اعجابهم ولكنهم كانوا لا يتحدثون اليه خجلا منهم وحياء فيكتفون بالابتسام . حتى كان يوم . أصبح فيه د خليل ، حديث الناس في هذا البلد الصغير يذكرونه وكلهم ثناء عليه واعجاب بشهامته ومروته وذلك ان المارين في الشارع الهام بالمدينة شاهدوا فتاة صغيرة تعدو ووراءها سيارة . تكاد تصدما وفقد السائق توازنه فلم يستطع وقف سيارته وصاح الرجال وصرخ النساء وفجأة رأى الناس د خيلا . ينطلق انطلاق السهم غير مبال بالخطر ثم يخطف الفتاة عائدا بها يحملها بين ذراعيه القويتين لم يمسهما ضرا او اذى .

ومنذ ذلك الحادث بدأ أهالي د أسلاو ، يتحدثون الى د خليل ، كلما صادفوه أو يحويه كلما قابلوه . وذاع ذكره بينهم فلقبوه بالمصرى النيل . فاذا كانت معه مسز د جراهام ، ذات يوم سارت تعتمد على ذراعه وكأها زهو وفخر بضيعةها المصرى أو قل بصديق الاسرة الشاب الذى أصبح يحل منها مكان الابن البار ومضت الايام وأدى د خليل ، امتحانه انتهى بنجاح وكان عليه ان يعود الى مصر فعز هذا الخاطر على مسز د جراهام ، وكانما قد افاقت هى وزوجها من حلم لذيد استمر ثلاثة أعوام كانت لما تخللها من سرور وسعادة كثلاثة ايام . واذا بخليل يعد نفسه للرحيل فكانت حصة أخرى الحسن حجاجهم لا يعاد لها الا الصداقة الاولى لفراق ولدها ولكن ما حلتها وقد انقضى الاجل المحدد له فى البعثة وقد ادى المهمة التى ارسل من اجلها

وعلى مضض منهم جميعا قابلوا الحقيقة المرة بدموع وصمت . وفى ليلة الرحيل دعت مسز د جراهام ، الاصدقاء والمحبين فى حفل عائلى صغير لتوديع د خليل ، وكان ان اجتمع المدعون وبدوا يتسامرون ويلهون ومسز د جراهام ، عن كل هذا لاهية ذاهلة شاردة الفكر تبدأ الحديث فى موضوع . ولا تكاد تنتهى منه حتى تشرع فى غيره

وطلب الحاضرون منها آخر الامر ان تتكلم فأبت فالخو انى السؤال فوقفت
بين تصفيقهم وتهليلهم وبدأت القول والدموع تترقق فى عينها فاقلت من الكلام
ولكنها احسنت التعبير عن قليل بما نكته لخليل ثم كان آخر قولها ان قات
ما زالت اترنم بقول شاعرنا كبلنج ، الشرق شرق والغرب غرب وبحال ان
يلتقى التوامان حتى قابلت واخللا ، فاصبحت اقول الشرق غرب والغرب شرق
وعلى التوامين ان يلتقيا

ابراهيم أنيس

المدرس بدار العلوم